

الحجُّ والصَّيْرَةُ



ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والآثار



أسباب التكفير وآثاره وعلاجه

د. عبدالقادر الشихلي

مركز الملك عبد الله للدراسات الإسلامية

المعاصرة وحوار الحضارات

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

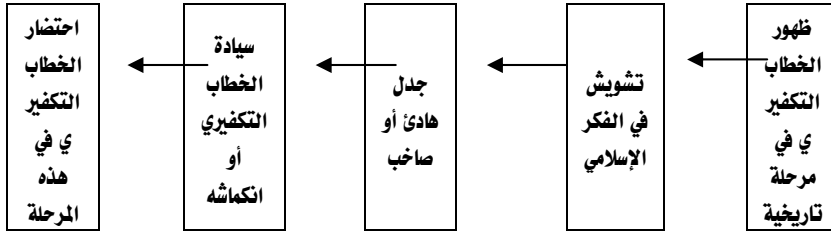
مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد - ﷺ - النبي الرسول الأمين، وعلى
صحابه وآلئه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين..

مفهوم الموضوع

التكفير بالباطل: إصاق تهمة الكفر بمسلم بلا ضابط شرعي كالحجة
الدامغة. وإذا كانت المخدرات داء تصيب صحة الإنسان فإن التكفير داء
يصيب الفكر الإسلامي، فهو مدعاة لمزيد من التطرف والقيام بأعمال
إرهابية تخل بأمن الوطن والمواطن.

ويمكن متابعة نشأة الخطاب التكفيري واختفائه على هذا النحو:



أهمية الموضوع:

لهذا الموضوع أهميتان نظرية وعلمية، إذ أن إطلاق حكم التكفير بدون
سند شرعي سيفضي إلى حدوث بلبلة في الفكر الإسلامي من جهة وبين
صفوف المسلمين من جهة أخرى، فإن إلقاء الأضواء إلى حد الاكتفاء على
هذا الموضوع سيفضي إلى نتائج ايجابية متمثلة في تعرية الأفكار الضارة
والعمل على رفع مستوى الوحدة الفكرية بين المسلمين.

خطة البحث:

تقتضي الضرورة العلمية تقسيم موضوع البحث إلى ثلاثة مباحث مستقلة، يتناول أولها مفهوم التكفير، ويبين ثانيها الآثار النظرية والعملية للتكفير، أما المبحث الثالث فيعرض طرق معالجة هذه الظاهرة من وجهة نظر الباحث. ومن الله الرشاد والسداد وإليه حسن المعاد

المبحث الأول مفهوم التكفير

سأتناول في هذا المبحث التكييف الشرعي للتكفير، وأسبابه، ووسائل ترويجه، وذلك في ثلاثة مطالب مستقلة:

المطلب الأول التكييف الشرعي للتكفير

يترتب عن التكفير أذى جسيم كما أنه يعتبر نوعاً من الغلو والتطرف، وفيما يلي بيان ذلك:

الفرع الأول : التكفير نوع من الإيذاء:

كرم الله عز وجل الإنسان ورفع منزلته إذ قال: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾^(١)، وأمر بتجنب إيذائه وتحريم ذلك إذ قال - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثماً مُّبِيناً ﴾^(٢)، وفسر أبو السعود هذه الآية بقوله : " والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات " ، أي يفعلون بهم ما يتأذون به من قول أو فعل ، وتقييده بقوله تعالى: ﴿ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴾ أي بغير جناية يستحقون بها الأذية ، (فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) أي ظاهراً مبيناً^(٣).

ويذكر الإمام القرطبي في تحريم الإيذاء، والتحذير من إيذاء الله ورسوله

(١) سورة التين، الآية ٤.

(٢) سورة الاحزاب، الآية ٥٨.

(٣) أبو السعود: تفسير أبي السعود، ج ٧، ص ١١٥.

خاصة ما يلفت الانتباه إلى ضرورة الحرص من تجنب الانزلاق في ذلك، فقد قال : (إن أذية المؤمنين والمؤمنات هي أيضا بالأفعال و الأقوال القبيحة، كالبهتان والتكذيب الفاحش المختلق. وقد قيل: إن من الأذية التعيير بحسب مذموم، أو حرفة مذمومة، أو شيء يثقل على المرء إذا سمعه وما ذاك إلا لأن أذاه في الجملة حرام، بل جعلها من كبائر الذنوب^(١)).

ويلاحظ تحريم الإسلام للتعرض للمسلم بأي نوع من أنواع الأذى، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال : قال - ﷺ - : " لا تحاسدوا ولا تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقى ها هنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"^(٢).

إن أذى المسلم والتعرض له مؤشر يدل على عدم اكتمال الإيمان في قلب المؤمن، أو عدم دخول الإيمان إلى قلبه، فقد جاء عن ابن عمر - رضي الله عنهما - انه قال صعد رسول الله - ﷺ - المنبر فنادى بصوت رفيع : " يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله"^(٣).

وقد جعل الإسلام الكف عن أذى المسلمين من أبرز علامات المسلم الحق، وقد لخص نبينا الكريم صفات المسلم الحق فقد جاء عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - ، إذ قال (المسلم من سلم المسلمون من

(١) الإمام القرطبي : تفسير القرآن العظيم، ج ١٤، ص ٢٤٠.

(٢) رواه الإمام مسلم.

(٣) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه وقال فيه حسن صحيح وصححه الألباني.

لسانه ويده..^(١) وفي هذا الحديث إشارة إلى أن علامة الإسلام هي السلامة من إيذاء الخلائق..^(٢) وقد جاء عن ابن بطلال - رحمه الله - أنه قال: والمراد بهذا الحديث الحض على ترك أذى المسلمين باللسان واليد والأذى كله..^(٣)، كما فسر القاضي الفضيل بن عياض - رحمه الله - ذلك بقوله: (المراد الكامل الإسلام والجامع لخصاله ما لم يؤذ مسلماً بقول أو فعل)^(٤) ويذكر المناوي: (الإيذاء ضربان ضرب ظاهر بالجوارح كأخذ المال بنحو سرقة أو نهب، وضرب باطن كالحسد والبغض والحقد والكبر وسوء الظن ونحو ذلك)^(٥). وأرى أن التكفير نوع من الإيذاء الفكري والإيذاء النفسي وهو إيذاء قد يفوق ضرره الإيذاء الجسدي كالتهديد اللفظي والنقد اللاذع، والتحدث بطريقة تتسم بالازدراء والسخرية، بما يؤدي إلى فقدان الثقة بالنفس، كما يشمل ذلك التحقير وإطلاق صفات مستهجنة ذميمة، وتوجيه الاتهامات، والاشعار بعدم المحبة والتعاطف مما ينجم عن ذلك التقليل من شأن الإنسان، وترويعه وترهيبه، وإقصائه اجتماعياً.

صفوة القول في هذا الشأن أن التكفير يعتبر من أعظم الأهواء والبلايا والرزايا الواقعة بين بعض أبناء الأمة، ولقد جر عليها من الويلات والفتن العمياء الشيء الكثير، وأوقعها في كل مذموم من الشقاق والنزاع والافتراق، وغمس أصحابه في استحلال الدماء والأهواء والاعتداء على الحقوق والأرواح والممتلكات وتدميرها دون وازع أو رادع^(٦).

(١) رواه الإمام البخاري ومسلم.

(٢) مرقاة المفاتيح، ج ١، ص ١٣٨.

(٣) ابن بطلال: - شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٦٢.

(٤) عمدة القاري، ج ١، ص ١٣٢.

(٥) فيض القدير، ج ٦، ص ٢٧١.

(٦) د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل: التكفير من أعظم البلايا التي جرت على الأمة الويلات والفتن،

جريدة الرياض، ٢٥ شوال ١٤٢٤ هـ الموافق ١٩/١٢/٢٠٠٣ م ص ١٩.

الفرع الثاني : التكفير نوع من الغلو والتطرف:

عرف شيخ الإسلام ابن تيمية الغلو :- بأنه مجاوزة الحد، بان يزداد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك^(١) كما عرفه ابن حجر بأنه المبالغة في الشيء، والتجديد فيه بتجاوز الحد^(٢) كما عرفه الميداني بأنه: تجاوز حدود الله فيه توسع في مساحة الدين المحددة بهذه الحدود^(٣).

وقد صدق بالتكفيرين حديث المصطفى - ﷺ -، المروي عن علي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - قال: (سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، لا يتجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)^(٤).

كما صدقت فيهم تسمية السلف الصالح، إذ كان يسمونهم أهل الأهواء، لأنهم أعرضوا عن تعلم الدين الصحيح، وسلكوا في فهمه طريق الهوى، فضلوا عن سواء السبيل، ومعلوم أن اتباع الهوى يضل عن السبيل والغلو في الدين أمر مذموم ومحرم شرعاً قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾^(٥).

عن انس ابن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم)^(٦).

(١) ابن تيمية: - اقتضاء الصراط المستقيم، ج ١، ص ٢٨٩.

(٢) فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٧٨.

(٣) الميداني: - الالتزام الديني منهج وسط، ص ٤٥.

(٤) صحيح البخاري، ج ٨، ص ٥٢، صحيح مسلم، ج ٣، ص ٩-١.

(٥) سورة النساء، آية ١٧١.

(٦) أبو داود في سننه حديث رقم ٤٩٠٤.

وقال النبي - ﷺ - : (أن هذا الدين يسر ولن يشاق الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وابتشروا وأستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)^(١). أما التطرف فهو تجاوز حد الاعتدال وعدم التوسط^(٢)، وكلا الغلو والتطرف خروج عن التوسط والاعتدال، فالمغالي يبالغ في الشيء إلى درجة الخروج عن حال التوسط والاعتدال، والمتطرف ينحاز إلى طرف الشيء ويتجاوز حده ويترك التوسط والاعتدال، وهذا ما يحصل في حالة التكفير. وجدير بالذكر أن الفكر والثقافة هما اللذان يوجهان الأفراد والجماعات، فإذا كان الفكر معتدلاً وسطيّاً كان السلوك سويّاً يعود على الأمة بالخير والرخاء، وإذا كان الفكر غالياً متطرفاً كان الفعل جريمة نكراء وعملاً إرهابياً. من هنا فالانحراف الفكري المضلل والتطرف المذهبي هو بداية الإرهاب، وكلما تطرف الفكر وغذي بمشاعر الكره والعداوة والتكفير تحول إلى قنابل موقوتة^(٣).

المعتصر في هذا المختصر أن التكفير حكم شرعي مرده إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحريم والايجاب إلى الله ورسوله، فكذلك التكفير، وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل، يكون كفراً أكبر مخرجاً عن الملة، ولما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله لم يجز أن نكفر إلا من دل الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن، لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة. وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير، فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات، ولذلك حذر النبي - ﷺ - من الحكم بالتكفير على

(١) البخاري، ج١، ص١٦.

(٢) المعجم الوسيط، ج٢، ص٥٦١، مادة طرف.

(٣) عبد الله السعد: أمن الوطن = مقاومة الفكر التكفيري، الرياض، ١٤٢٦ هـ، ص٧.

شخص غير كافر، فقال: (أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه).

وقد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو الفعل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به، لوجود مانع يمنع من كفره^(١).

والغلو نوعان:

١- الغلو الكلي (الاعتقادي): هو متعلق بباب العقائد، ومن أمثلته تكفير المجتمع أو تكفير الدولة.

٢- الغلو الجزئي (العملي): هو محصور في جانب الفعل سواء كان قولاً باللسان أو عملاً بالجوارح، ومثاله قصة النفر الثلاثة الذين عزموا على الصيام والقيام وترك النساء، قال - ﷺ - - إني أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عني فليس مني^(٢).

ومن مظاهر الغلو في الدين:

- ١- التعصب بالرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر.
- ٢- إلزام جمهور الناس بما لم يلزمهم الله به.
- ٣- التشدد في غير موقعه.
- ٤- الغلظة والخشونة.
- ٥- سوء الظن بالناس^(٣).

(١) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: بيان مجلس هيئة كبار العلماء حول التكفير والتفجير، الرياض ص ١-٢.

(٢) حديث متفق عليه.

(٣) د. ناجح بن إبراهيم عبدالله، الشيخ علي بن محمد بن علي الشريف: حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين، الرياض مكتبة العبيكان ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م.

الفرع الثالث : نطاق التكفير:

في بحث علمي نال معده درجة الدكتوراه وزع الباحث (٦٠٦) استبانة لتحديد المنطلقات العقدية لقواعد وأفكار دعاة غلاة التكفير الموجه للمجتمع السعودي، وتوصل إلى نتائج محددة وفيما يلي الجدول الآتي^(١) يوضح تكرار التكفير:

المرتکز	التكرار	النسبة
تكفير الحكام والخروج عليهم	٢٧٨	٥,٨%
التكفير بالولاء والبراء	٩٣	١٥,٣%
تكفير العسكريين	٤٤	٧,٣%
تكفير العلماء أو تفسيقهم	٣٥	٥,٨%
تكفير من لم يحكم بما أنزل الله مطلقاً	٢٠	٣,٣%
تكفير المجتمع السعودي	٩	١,٥%
تكفير من لم يكفر الكافر مطلقاً	٣	٠,٥%
المجموع	٤٨٢	٧٩,٥%
غير مبين	١٢٤	٢٠,٥%
المجموع	٦٠٦	١٠٠%

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

ويتبين لنا جميعاً من تحليل هذا الجدول أن التكفيريين يلجؤون إلى تكفير الجميع، حكاماً ومحكومين، فلا ينجو منهم أحد إلا من هو في فصيلتهم الشاذة.

(١) د. محمد بن إبراهيم الزهراني: خطاب دعاة الغلو الاعتقادي في المجتمع السعودي - مرتكزاته وأساليبه وكيفية مواجهته، دراسة تحليلية (دن، دت)، ص ١٩.

المطلب الثاني

أسباب ظاهرة التكفير

تتفاوت أسباب ظاهرة التكفير بتفاوت الأجيال، وفيما يلي بيان ذلك:

■ الحيوية الشبابية التي تدفع للتطرف والغلو:

الشباب هم من الركائز الأساسية في المجتمعات، إذ بقوتهم تقوى المجتمعات ويضعفهم تضعف، فمرحلتهم من أخصب مراحل العمر. وقد اهتم الرسول المصطفى - ﷺ - بهم فقال "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله" وذكر من أولئك "شاب نشأ في طاعة الله" وقد أخرج الإمامان الحاكم والبيهقي أن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ - : " اغتتم خمسٌ قبل خمسٍ.. "، وذكر منها: شبابك قبل هرمك.

فمرحلة الشباب هي مرحلة الحيوية والعنفوان والقوة التي إذا أحسن استغلالها من قبل الشاب نفسه أو ولاة أمره فإن الدولة تقوى، والأخلاق تترسخ، والعمل يتسع، والإبداع يتفاقم، والنتائج الايجابية تمتد إلى المستقبل. أما هذه الحيوية فلو تم استثمارها استثماراً سيئاً عن طريق رفاق السوء، أو دعاة الغلو والتكفير فإن هذا البعض من الشباب يصبح معولاً يهدم المجتمع لأن طاقاته العظيمة توجهت نحو التخريب والضلالة.

ولاشك أن طاقات الشباب المستثمرة في ميدان العمل والإنتاج ستكون عوناً لدولته ووطنه ومجتمعه وأهله ونفسه، أما إذا بقيت هذه الطاقات في حالة فوضى أو عدم توظيف فإن أفكار الغلو والإرهاب والتكفير ستجد فيها أرضاً خصبة للزراعة والنمو.

■ حب الظهور والتميز:

معظم الناس يميلون إلى الظهور والتميز حباً بالدنيا ونأياً عن الآخرة، وبما أن معظم الشباب يميلون إلى الاعتدال والوسطية في الفكر والحياة، فإن الشواذ منهم يخالفون ما أتفق عليه معظم الأقران أو الزملاء فيتبنون أفكاراً متطرفة ويرمون المحصنين والمحصنات بكل باطل ويفهمون الشرع الإسلامي على وجه متطرف لا واقعية فيه ولا عقلانية، إذ يتصور هؤلاء الشواذ أن تبنيهم للأفكار الشاذة يجعل منهم قادة للمجتمع أو للفكر.

■ ضعف العلم الشرعي:

إن دراسة جامعية لمدة أربع سنوات للعلم الشرعي تعطي فكرة عامة عن هذا العلم دون أن تتيح المجال للطالب بالتعمق والفهم المتكامل، ذلك أن العلم الشرعي يبدأ من القرآن والسنة ثم يواصل سيره باتجاه الآراء الفقهية السديدة، إن العلم الشرعي هو بحر لأنه يبدأ من العبادات والمعاملات والأخلاقيات، وكلما توغل الدارس في هذه الميادين لاحظ أن ثمة جوانب متنوعة ومتعددة ما زالت لم يستوعبها الاستيعاب المطلوب، وكلما توغل الباحث في ميادين البحث الشرعي أدرك سعة جهله وكثرة المجالات التي لم يدركها، فإذا كان الواقع كذلك فكيف يتسنى لمن هو في سن الشباب أن يجتهد في مجالات لا يملك عنها إلا أقل من القليل، إن الإسلام يواجه تحديات جمة من قبل أعداء لا حصر لهم يثيرون قضايا واعتراضات يحتاج المسلمون إلى مناهج جديدة لمواجهتها لأن القضايا الجديدة تحتاج إلى مناهج جديدة، وإن المعايير التي كانت مستخدمة في عالم الامس لم تعد قادرة على الصمود في عالم اليوم، فالحياة والتقدم العلمي والتكنولوجي يفرزان مشكلات ونوازل جديدة لم نعهدها سابقاً وهي تحتاج في مواجهتها إلى فكر جديد وفهم قادر على التعامل معها باقتدار.

■ قلة الورع وتجنب الانضباط الشرعي:

إن من يضعف دينه ربما يتجراً على ما يعلم علم اليقين أنه محرم، أو يتهاون فيما هو في دائرة الشبهات، أو يغلب هواه فتصدر الفتاوى غير المؤصلة، وتطلق الأحكام وفق الهوى فتثار بذلك الشكوك وتكثر الاضطرابات التي تؤثر على هدوء المجتمع وسكينة^(١).

■ قلة العناية بمراجعة النفس ومحاسبتها:

إذ هي توقف المرء على مدى تقصيره، وعلى جوانب الخلل في عمله. ولا يسوغ أن يكون الاعتياد على عمل وارثه عن السابقين حائلاً ومانعاً عن المراجعة والمحاسبة. فالبعض قد يقعون في أخطاء في عملهم دون أن يستفيدوا من هذه الأخطاء فالمفروض أن المؤمن يقبل الحق ممن جاء به، والحكمة ضالة المؤمن كما جاء في الأثر^(٢).

■ معاناة بعض الشباب من حانة الفقر:

إن الفقر حسب ما جاء في قرارات مؤتمر اتحاد الأطباء النفسيين الذي عقد في اليابان في ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م هو السبب الأول والرئيس للاضطرابات النفسية، والأمراض العقلية، لأن المرض العقلي والاضطراب النفسي يلحق الضرر البالغ بالفرد وعائلته، ومن ثم يؤثر سلباً على المجتمع وعلى الدولة بشكل عام. فالفقر هو الذلة والمهانة التي تولد عند أصحابه الكآبة، وترسب الأمراض العقلية والاضطرابات النفسية^(٣).

والفقراء ليسوا سواً، ولكن حالة الفقر ترعرع مثل هذه الأمراض، ومن

(١) وزارة التربية والتعليم: دور التربويين في حماية فكر الناشئة، الرياض ١٤٢٧ هـ ص ٩.

(٢) وزارة التربية والتعليم: المرجع السابق ص ٨.

(٣) د. إبراهيم بن حسن الخضير: الفقر والأمراض النفسية، جريدة الرياض عدد ٩ ربيع الاول ١٤٢٧ هـ

الموافق ٢٠٠٦/٤/٧ م ص ٤٨.

ثم تولد لدى بعضهم ميلاً إما إلى الانحراف أو الجريمة، أو تكفير المجتمع والدولة.

والإسلام عالج الفقر، وعمل من أجل تخفيض آثاره، إذ قال الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : " لو كان الفقر رجلاً لقتلته " ذلك لأن الفقر تدمير لشخصية الإنسان وتشجيعه إلى ما لا يحمد عقباها، إذ يدفعه لتبني أفكار متطرفة وآراء غالية، والإسلام عمل من أجل إغناء الفقراء ومواساتهم؛ كنصوص فرض الزكاة والترغيب بالصدقات ووجوه الإحسان والبر.

■ تنكب الوسطية والاعتدال يفضي إلى التكفير:

لغويًا: وسط: بناء صحيح يدل على العدل والإنصاف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه^(١).

وفي الاصطلاح: عرفها ابن قيم الجوزية بقوله: الأخذ بالوسط الموضوع بين الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة وضابط هذا كله العدل. فالوسطية استقامة ولو لم تكن على نهج الاستقامة لكانت انحرافاً، والانحراف إما إفراط أو تفريط وذلك ضد الوسطية التي تدعو إليها الفطرة السليمة، قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾^(٢). وقال الله يخاطب رسوله المصطفى - ﷺ - : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٣) فالتكفير والحالة هذه خروج عن الاستقامة وجنوح عن العدل^(٤).

■ الانغلاق والجمود:

العلم الشرعي بحر كبير، أجزاءه مترابطة بعضاً ببعض، وهي ممتدة

(١) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج٦، مادة وسط، ص١٠٨.

(٢) سورة فصلت، الآية ٣٠.

(٣) سورة الشورى، الآية ٥.

(٤) في التوسع انظر: د. عبد القادر الشبخلي: منهج الوسطية في العقيدة الإسلامية والسلوك الإنساني،

الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

لذلك يتطلب هذا العلم المتابعة والتحصيل من المهد إلى اللحد، فإذا توقف الفقيه عن التفكير والاجتهاد انحسب في قضايا وآراء محددة ومحدودة، وانغلق على نفسه، وجمد ذهنه، ولم يعد قادراً على التعامل مع القضايا الجديدة والمتجددة، فإذا انغلق هذا الفقيه يصبح عطاءه غير نافع فيرمي التهم جزافاً، ويطلق الأقوال على عواهنها، ويتجرأ على تكفير مخالفه، أو يظن أنهم أهلاً للتكفير.

■ إنزال أحكام على زمن غير زمانها:

يلاحظ أن الفقه يتأثر بالزمان والمكان وهذه هي حال الإمام الشافعي حينما أنتقل من العراق إلى مصر، فالآراء الفقهية قابلة للتطور والتطوير، وما حكمنا به بالأمس قد لا يكون صالحاً لحكم اليوم لأن لكل حكم أو رأي مناسبه وصلاحيته.

■ اتباع مبدأ "خالف تعرف"!

قد يلجأ بعض الأشخاص إلى مخالفة القوم، أو مخالفة الآراء السائدة لكي يبدو ظاهراً شخصه على العيان، فهو يخالف لا عن منطق أو يقين أو عقيدة وإنما لكي يشذ عن الجماعة ويظهر برأى يتفرد به، وهذا هي حال بعض المشايخ التكفيريين الذين يشذ عن الآراء العامة، فيكون حديث المجالس والإعلام وهذا هو هدفهم الباطن من مخالفة أقرانهم.

■ اقحام الدين بالسياسة:

لكل من الدين والسياسة ميدان مستقل لا رابط بينهما، فالدين مجموعة أحكام إلهية شرعية مقدسة مصدرها السماء، بينما السياسة سلوك قائم على المصلحة ولا يتورع عن النهج الانتهازي للوصول إلى مآرب دنيوية.

المطلب الثالث

وسائل ترويج التكفير

هناك وسائل وجاهية، وأخرى إعلامية تستخدم لترويج الفكر التكفيري، وفيما يلي بيان ذلك:

الفرع الأول : الوسائل الجاهية:

تتمثل هذه الوسائل في اللقاءات الفردية والجماعية، وتكون هذه اللقاءات ذات طابع سري. ويقول أحد التائبين: جئنا إلى مخيم بمكة المكرمة، ومكثنا فيه أربعة أيام مع الدعاة^(١) ويقول آخر: دخلت هذا البيت وأنا مغمض العينين، ووجدت خمسة أشخاص، ومكثت معهم أربعة أيام^(٢) ويتضح من ذلك حرص جماعة التكفيريين على ترويج دعاويهم في لقاءات تتسم بالسرية والكتمان.

الفرع الثاني : الوسائل الإعلامية:

يركز التكفيريون لنشر أفكارهم على الوسائل التالية:

- أ- الكتب : يهتم التكفيريون بتأليف الكتب والكتيبات التي تروج منهجهم الشاذ، محاولين تطعيمها بنصوص من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة وفق اهوائهم، ويلوي هؤلاء الأحكام الشرعية لغرض توظيفها لخدمة فكرهم التكفيري.
- ب- المجلات والنشرات: يستخدم التكفيريون المجلات والنشرات السرية لترويج فكرهم عن طريق التوزيع السري لها؛ وذلك لزيادة رقعة الحاملين

(١) ورد ذلك في برنامج "عن توبة عدد من الغلاة" في القناة الأولى بالتلفزيون السعودي في ٢٣/١١/١٤٢٤هـ.

(٢) ورد ذلك في برنامج "عن توبة عدد من الغلاة" في القناة الأولى بالتلفزيون السعودي في ٧/٨/١٤٢٥هـ.

بالفكر التكفيري.

ج- شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت): هذه الشبكة تستخدم لأغراض الخير كما تستخدم لأغراض الشر، فهي من جهة ميدان لترويج الأحكام الشرعية، والفضائل الأخلاقية، والنظريات العلمية الصحيحة، ومن جهة أخرى فهي وسيلة لترويج الإباحية، والتحلل الخلقي، والفكر التكفيري، إذ تتوقف فائدة النشر من عدمها على هدف صاحب الموقع الإلكتروني، وقد استفاد التكفيريون فائدة عظيمة من هذه الشبكة عن طريق التفرير بالشباب اليافعين وحديثي التدين، كما أن الخطابات التكفيرية كانت ستبقى في جحر الظلام، وكهوف الصحراء، ويتداولها بخوف بعض الأفراد، إلا أن هذه الشبكة أتاحت للتكفيريين أن يعرضوا دعاواهم في أرجاء العالم.

المبحث الثاني

الآثار النظرية والعملية

فيما يلي سأتناول أبرز الآثار الفكرية والتطبيقية لظاهرة التكفير في
مطلبين مستقلين:

المطلب الأول

الآثار النظرية

الفرع الأول : الخروج على الحكم الشرعي:

لاشك أن التكفير الحق هو من الشرع، ولكن رمي التكفير يميناً وشمالاً
هو من قبيل الخروج عن الحكم الشرعي، وذلك لأن للتكفير الصحيح
ضوابط وأدلة لا يستهان بها، فإذا لم تتوفر هذه الضوابط في حالة معينة فلا
يعد ذلك تكفيراً صحيحاً وإنما هو من قبيل إطلاق التهم جزافاً ودون رادع من
ضمير أو وازع من وجدان.

الفرع الثاني : إحداث البلبلة في الفكر الإسلامي:

لاشك في أن الفكر الإسلامي يحوي مسائل وقضايا متعارف عليها، ولا
تتناقض مع الأحكام الشرعية، وإنما هي عبارة عن آراء توضح بعض
الأحكام أو تفسرها أو تنهج نهجها، فإذا أطلقنا العنان للتكفير بدون ضابط
أو رابط فستحصل بلبلة مخيفة في الفكر الإسلامي، لأنه يختلط فيها الحابل
بالنابل، ولا يستطيع السامع أو القارئ التمييز بين ما هو شرعي وما هو غير
ذلك، والسببان الرئيسان لهذه الظاهرة هما تعامل غير المختصين بقضية
التكفير، وتعامل من جمدت أفكارهم ولم تعد قابلة للحياة والقبول.

المطلب الثاني الأثار العملية

الفرع الأول : التفرقة بين المسلمين :

كلما كان المسلمون متوحدين بأفكارهم ومواقفهم، أصبحوا أقوياء في مواجهة العدو، وكلما تفرقوا شلت فعاليتهم وزاد هوانهم، فالأفكار الشاذة والآراء المتطرفة والاحكام التكفيرية ترمي بسهم في قلب الوحدة الإسلامية. ويكفي أن نواجه أعداءنا الخارجين، وما أكثرهم، إما في الداخل فیتعين أن نرص الصفوف، ونوحد المواقف، ونواجه أفكار التعصب بشجاعة عن طريق الحوار والتفنييد المنطقي.

ومن هذا يتبين لنا أن هذه الأفكار تؤدي إلى نشر الفتنة، وتفريق الصف، وتمزيق الوحدة، الأمر الذي يناه في ما أمر فيه الشرع من وجوب الاجتماع وتحريم الافتراق^(١).

الفرع الثاني : الإخلال بالأمن العام:

إن ترويج الفكر التكفيري يؤدي إلى الإخلال بالأمن العام وذلك لأنه يدعو إلى استخدام العنف ضد كل من لا يؤمن بهذا الفكر، وأكثر التعريفات شيوعاً للعنف هو التعريف الذي أورده قاموس اكسفورد البريطاني، إذ يقول: العنف هو فعل إرادي متعمد، بقصد إلحاق الضرر، أو التلف، أو تخريب أشياء أو ممتلكات أو منشآت خاصة أو عامة، أهلية أو حكومية، عن طريق استخدام القوة.

(١) د. توفيق بن عبدالعزيز السديري: الأمن الفكري والغلو، جريدة الجزيرة، ٢٥ جمادي الاولى ١٤٣ هـ الموافق ٢٠/٥/٢٠٠٩م، الرياض، ص١٩.

هذا عن العنف بالمعنى العام، أما الإرهاب فهو أحد أشكال العنف الموجه إيدولوجياً، والذي ترتكبه تنظيمات غير رسمية عن طريق أفراد أو جماعات من المنتمين إليها، بهدف تحقيق مآرب سياسية، مرحلية أو نهائية، مع ملاحظة أن الجماعات الإرهابية متعددة الأغراض، لم تنجح في أي مجتمع بشري في تحقيق أهدافها، وينتهي بها الأمر عادة إلى التصفية على يد السلطة الشرعية للدولة، أو التخلي عن الطابع السياسي والانخراط في سلك الجريمة العادية^(١).

ومن هذا يتبين ان التكفير يؤدي إلى الاخلال بالأمن العام لان اصحابه يعتقدون بأنفسهم بانهم دعاة الحكم الشرعي الصحيح، ومخالفهم من الكفار، وهؤلاء ينبغي اجتثاثهم بالقوة.

وجدير بالذكر أن من يحمل أفكاراً متطرفة يلجأ إلى العنف لإقناع الآخرين بما يؤمن به، فالضلالات أمر خطير، وقد يترتب عليها جرائم بشعة، لذلك يجب أخذ التحذير من قبل الأشخاص الذين تبدو منهم بعض التصرفات الغربية أو يلمحون بالكلام بانهم مضطهدون وأنهم سوف ينتقمون ممن يضطهدهم^(٢). فمن يكفر الآخرين يفكر بالتخلص منهم بالطرق العنفية وقد يلجأ إلى الإرهاب مما يخل بالأمن العام.

ومن صور الإخلال بالأمن العام تلك الأزمة التي تعيشها الجزائر، فقد قتل عشرات الألوف من الناس، وأصبح هذا البلد واستقراره في مهب الريح، ولعل مما عمق الأزمة تطرف الفتاوى التكفيرية^(٣) ويسري هذا الكلام أيضاً على ما جرى في العراق الشقيق.

(١) د. نبيل رمزي: علم اجتماع المعرفة، ج٣، إيدولوجية الإكراه الديني والإرهاب السياسي، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي، ١٩٩٢م، ص٧٤.

(٢) د. إبراهيم بن حسن الخضير: من يحمل أفكاراً ضلالية يلجأ إلى العنف لإقناع الآخرين بما يؤمن به، جريدة الرياض عدد ٨ صفر ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٠٠٥/٣/٨م ص٤٨.

(٣) عبد الله السعد: أمن الوطن = مقاومة الفكر التكفيري، الرياض ١٤٢٦ هـ ص ١٢.

المبحث الثالث

المعالجة

يمكن معالجة ظاهرة التكفير تربوياً، واجتماعياً، وعلمياً وثقافياً وإعلامياً، كما يلي في ثلاثة مطالب مستقلة:

المطلب الأول

الدور التربوي

يتبلور الدور التربوي في الأسرة، والمدرسة والجامعة، والمسجد، وفيما يلي بيان ذلك:

الفرع الأول : الأسرة:

الأسرة مؤسسة اجتماعية حصيلة الزواج الشرعي، ويحرص الإسلام على بناء الأسرة على أسس شرعية متينة، اذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١) فالأسرة مسؤولة عن عقيدة الأبناء وعن حمايتهم، ورعاية سلوكهم، كما أنها مسؤولة عن صحتهم العامة ومأكلهم ومشربهم ومتابعة تعليمهم، ومن ثم يتحقق التوازن التربوي للفرد بصورة سوية. ويتلقى الفرد معلومات وأفكاراً وآراءً من الآخرين ومن أجهزة الإعلام، وعلى الأسرة تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى الأبناء عن الشرع وعن الحياة التي تجري من حولهم مما

(١) سورة النساء، آية: ١

يفضي إلى تربيتهم على الوسطية الموافقة للفترة الإنسانية؛ ليكونوا واقفين عند حدود الله - عز وجل - من دون إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تطرف، وليكونوا قادرين على التمييز بين الحق والباطل، والخطأ والصواب، والحلال والحرام، ومن ثم يتم بذلك حماية أفكارهم وسلوكهم من الانحرافات المضللة.

وتعمل الأسرة جاهدة على تبصير أبنائها وبناتها بوجوب الالتزام بأحكام الإسلام، والتشبث بفرائضه، والحذر من الوقوع في الأخطاء السلوكية، والانحرافات الفكرية المخالفة للكتاب والسنة، والحذر من التقليد الأعمى الذي يضعف الشخصية ويمسحها.

وتصل الأسرة إلى النجاح في مهامها الشرعية، والاخلاقية، والفكرية عن طريق:

- ١- إقامة حدود الله، أي تحقيق شرع الله ومرضاته في كل شؤونها وفي العلاقات الزوجية فيترعرع الأبناء على تقوى الله.
- ٢- تحقيق الطمأنينة النفسية بين الزوجين وبين أبنائهما، إذ يقول - تعالى -
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (١).
- ٣- تحقيق أمر رسول الله - ﷺ - بإنجاب النشء المؤمن الصالح، ومن ثم تقع على الابوين مسؤولية تربية الأبناء ووقايتهم من الانحراف والشر والنار، إذ قال - تعالى -
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (٢).
- ٤- تفعيل المحبة بين الأبناء عن طريق التراحم والعطف المتبادل، مما يزيد التعاون فيما بينهم، وقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين

(١) سورة الروم، الآية: ٣١.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٥.

الصديقة بنت الصديق السيدة عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: جاء
 اعرابي إلى النبي - ﷺ - فقال: تُقبَلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال النبي
 - ﷺ - : - أو أملك لك ان نزع الله الرحمة من قلبك".
 ٥- صون فطرة الابن عن الزلل والانحراف، فالأسرة مسؤولة عن فطرة
 الطفل وحمايته من الانحراف، إذ يقول الرسول - ﷺ - فيما رواه عنه
 أبي هريرة: ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه
 أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من
 جدعاء وحتى تكونوا أنتم تجدعونها^(١).
 وللأسرة دور عظيم في توجيه أبنائها على الحرص على تجنب المحرمات،
 وتجنب اتباع الهوى، والالتزام بالقدوة الحسنة في القول والعمل، والتشجيع على
 صحة الاخيار والصالحين، وملاحظة أي سلوك يصدر عن الأبناء وتوجيههم
 الوجهة الصحيحة، والتربية على التثبث في نقل الأخبار وتجنب التسرع في
 تصديق الإشاعات^(٢).

الفرع الثاني : المدرسة و الجامعة:

المدرسة والجامعة مؤسستان تعليميتان وتربويتان، إذ تؤثران تأثيراً مباشراً
 فعالاً في البنية الشخصية للطالب؛ وذلك على أساس قيام المربي أو المعلم -
 ذكراً أو أنثى - بدوره على أفضل وجه عن طريق إعداد الطلاب إعداداً
 شرعياً وأخلاقياً وعلمياً، فالمدرسة وكذا الجامعة لهما دور كبير في العناية
 بالجوانب الفكرية والسلوكية للطلاب، عن طريق تزويدهم بالمفاهيم
 الصحيحة والمعايير العلمية السليمة، ويتم ذلك بأن يتطابق سلوك المربي أو
 المعلم مع فكره الشرعي، وأن يكون مخلصاً في عمله؛ مرضاة لله والوصول

(١) حديث متفق عليه.

(٢) وزارة التربية والتعليم: الأمن الفكري، الرياض ١٤٢٦ هـ ص ٢١.

إلى الصواب وإحقاق الحق، وأن يكون صبوراً على معاناة مهنة التعليم، وأن يكون صادقاً في عمله قال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾^(١).

ومن الضروري أن يتزود المربي أو المعلم بالحقائق الجديدة، والمعلومات الدقيقة؛ لكي يكون قدوة علمية لطلابه، فيحاورهم ويسد أفكارهم، ويصوب آراءهم، فتكون لديهم ثقافة شرعية صحيحة، وعلمية حديثة لا يتسرب إليها الغلو أو التطرف أو الانحراف.

الفرع الثالث : المسجد:

المسجد مؤسسة دينية، شرعية، روحية، علمية، بمقدور الخطيب أن يزود المصلين المستمعين بالأفكار الشرعية والاجتماعية الصحيحة، وينبهم عن الانحرافات التي لا تستقيم مع الشرع، بشرط أن تكون خطبته علمية ومشوقة، وذات زاد إيماني عميق، فلا يكرر ما يعرفه المستمعون عن طريق المواعظ والارشادات التقليدية التي لا تحوي على جديد. فالخطيب الجيد هو الذي يتمكن من ناصية العلم الشرعي ويسخره لبناء عقول رائدها الوسطية والاعتدال، ولا بد له أن يعري الأفكار التكفيرية تعرية جدلية قائمة على الاقناع العقلي، فالمستمعون تتفاوت مداركهم وأفكارهم مما يتطلب على الخطيب ان يكون خطابه متفاوت الدرجات؛ بحيث يخاطب هؤلاء وهؤلاء من الذين تتفاوت ثقافتهم الشرعية، واستيعابهم العقلي. فللمسجد مكانة روحية عظمت في نفس المسلم، فهو بيت الله، وهذا المكان ينبغي ان يكون معقلاً من معاقل العلم والاخلاق، ومكافحة جميع الانحرافات الفكرية والاجتماعية التي يحاول الغلاة إلصاقها بالإسلام.

المطلب الثاني الدور الاجتماعي

المجتمع الصالح يتألف من أفراد صالحين، ولن يعدم أفراداً منحرفين أو شاذين، إذ يكفي صلاح المجتمع بصلاح معظمه، وحينئذ تهتدي الأقلية بصلاح الأكثرية، أو أن تهتم الأكثرية بإصلاح الأقلية، ويهتم بإصلاح المجتمع علماء الاجتماع، وعلماء الأخلاق، ودعاة الدين الإسلامي، والباحثون العلميون، فأى ظاهرة تتحرف عن نهج المجتمع يتعين أن تقع تحت مسؤولية هؤلاء، وذلك لأن الظاهرة السلبية الصغيرة قابلة لأن تتسع وتكبر إذا لم تجر العناية بها ومواجهتها بشجاعة لما يعالجها معالجة جذرية.

المطلب الثالث

الدور العلمي والثقافي والاعلامي

الفرع الأول : الحوار المباشر:

يحبذ استعمال الحوار مع الذين يحملون أفكاراً متطرفة، أو أفكاراً شاذة؛ وذلك لتبصيرهم بمدى الخطأ الذي تتطوي عليه أفكارهم، فالمحاجة العقلية أسلوب لإقناع الآخر بالفكر الصائب، أو الرأي السديد، فالحوار أسلوب حضاري فعال ومنتج، إذ بواسطته نستطيع استئصال الأفكار الخاطئة والآراء المتطرفة، فكما أن المؤمن بهذه الأفكار الشاذة تقبلها عقلاً، فيتعين مخاطبة عقله لغرض أن يفهم أنها ليست الأفكار الصائبة، ومن لا يقنع فإثمه على نفسه الأمانة بالسوء^(١).

الفرع الثاني : المؤتمرات والندوات العلمية والثقافية:

المؤتمرات والندوات عبارة عن تجمع يضم نضراً من العلماء، والمفكرين، والمثقفين، والباحثين الذين يتداولون في الشؤون الشرعية، والعلمية، والفكرية، والاجتماعية، يسودها الحوار المفتوح الحر الذي من شأنه انضاج العقول وتزويدها بأصوب الحقائق وأحدث المعلومات، وكذلك مناقشة الأفكار الخاطئة التي يتداولها الجهلة، أو أنصاف المثقفين. ومن خلال النقاش المتنوع والمتعدد يمكن محاجة الأفكار بحيث يظهر ما ينفع الناس، وأما الزيد فيذهب جفاءً! فالمؤتمرات والندوات العلمية والثقافية فرصة ثمينة لبث

(١) انظر في آداب الحوار ومناهجه وتخطيطه وتنظيمه وآلياته وتنفيذه وتقويمه:

دكتور عبدالقادر الشبخلي، ثقافة الحوار في الإسلام، الرياض، مؤسسة اليمامة، ١٤٢٤هـ.

دكتور عبدالقادر الشبخلي: هندسة الحوار، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض،

١٤٣١هـ.

الأفكار الصحيحة، وتصويب الأفكار الخاطئة، بشرط أن تتاح الفرصة للجميع بأن يتكلموا بحرية كاملة، ويجري في نطاقها تبلور الأفكار، فتبرز الأفكار الصائبة وتتعرض الأفكار الخاطئة للخذلان والاندثار.

الفرع الثالث : الاعلام:

أجهزة الإعلام من أخطر الأجهزة التي تواجه الإنسان المعاصر، سواء كانت أجهزة مرئية، أو مسموعة، أو خليط بين الاثنين، فهذه الأجهزة تبت في أنحاء العالم أفكاراً وآراءً ومعلومات بعضها صحيح وبعضها غير ذلك. إن لهذه الأجهزة قدرة عجيبة في اقناع السذج أو الجهلة، بينما لا تؤثر على ذوي البصيرة والحكمة، فيتعين والأمر كذلك توظيف الإعلام توظيفاً سديداً لنشر الحقائق الإنسانية، والمعلومات الصحيحة، وتعرية الأفكار الخاطئة، أو الشاذة، اعتماداً على المنطق العلمي، ومقارعة الحجة بالحجة. إن أجهزة الإعلام تفعل نفس فعل أسلحة الدمار الشامل، فهي تغير العقول، وتبدل الأفكار، وتغذي النفوس، أو تشوهها، وتنتشر العواطف الإنسانية الجياشة، كما تنتشر العواطف المريضة التي تدعو إلى الكراهية والتعصب والتكفير، لذلك فإن توظيف الأجهزة الإعلامية من شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) عبر العالم إلى الصحافة المحلية والاقليمية ضرورة لغرض نشر الفكر الشرعي والمبادئ الإنسانية ومواجهة الصحافة الصفراء علنية كانت أم سرية.

خاتمة النتائج والتوصيات

توصلت في هذه الرحلة العلمية إلى جملة نتائج وتوصيات عرضت بعضها في متن البحث وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: النتائج:

- التكفير بالباطل أو التكفير غير الشرعي ظاهرة ضارة بالفكر الإسلامي وبالمسلمين عموماً، ولكن عزاءنا أنها ظاهرة فردية، وهي تقع تحت الملاحظة والرصد.
- هناك أسباب عديدة تدفع البعض لإطلاق التكفير على عواهنه وهي أسباب تعود عموماً إلى حداثة سن الشباب، وقلة ورعهم وخبراتهم وتجاربهم، أما غيرهم فلغلبة الهوى عليهم وقلة علمهم وفقهم في الدين.
- إن أسوأ ما يواجه الدين هو التسييس، فمجاله لا يلتقي مع مجال السياسة، إلا أن التكفيريين الذين لا يفقه معظمهم بالدين يحاولون إطلاق دعاواهم في الحقل الديني؛ مشوهين الدين ومستغلين للسياسة، فالدين ثوابت وضعها رب العالمين، بينما السياسة وضعها البشر وفقاً لمآربهم وأهوائهم، ويمكن القول أن توظيف الدين في المجال السياسي إنما هو جريمة بحق الدين وبحق أتباعه.

ثانياً: التوصيات:

- ضرورة تعرية التكفير بالباطل أو التكفير غير الشرعي، وتمييزه عن التكفير الشرعي، وذلك عن طريق اللقاءات الحوارية والمؤتمرات والندوات الشرعية والعلمية، وأجهزة الإعلام وبخاصة شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

- ضرورة الوعي أن التكفير بالباطل أو التكفير غير الشرعي هو سلوك مفهوم لدى الأمة وعلمائها، فمهما علت دعاوى التكفير فهي لم تحتل إلا مساحة ضئيلة جداً في المجتمع الإسلامي سرعان ما تخبو.
- ضرورة أن يكثف علماء المسلمين بحوثهم ودراساتهم العلمية في نطاق تعرية أفكار التعصب؛ وذلك باستخدام المنهج العلمي القائم على الاقتناع العقلي والأدلة الشرعية، بدلاً من المواعظ والإرشادات التي عفا الدهر عنها ولم تعد ذات فعالية.

المصادر و المراجع

أولاً: المصادر الشرعية والفقهية:

- القرآن الكريم.
- ابن بطال البكري القرطبي: شرح على صحيح البخاري، ج ١، بيروت، دار التراث الإسلامي.
- الإمام ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، ج ١، بيروت، دار التراث الإسلامي.
- الإمام ابن حبان: صحيح ابن حبان، بيروت، دار التراث الإسلامي.
- الإمام ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١٣، بيروت، دار المعرفة.
- الإمام أبي السعود: تفسير أبي السعود، ج ٧، بيروت، دار التراث الإسلامي.
- الإمام أبي داوود: سنن أبي داوود، بيروت، دار الرسالة.
- الإمام البخاري: صحيح البخاري، ج ٨، الإمام مسلم: صحيح مسلم، ج ٣، بيروت، دار الرسالة.
- الإمام الترمذي: السنن، بيروت، دار التراث الإسلامي.
- الإمام القاري، علي بن سلطان، مرقاة المفاتيح، ج ١، ١٠١٤هـ، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الإمام القرطبي: تفسير القران العظيم، ج ١٤، القاهرة، المكتبة الأزهرية.
- الإمام بدرالدين العيني: عمدة القاري، ج ١، بيروت، دار الفكر.
- الإمام عبدالرؤوف المناوي،: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ٦، بيروت، دار التراث الإسلامي.
- عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني: الالتزام الديني منهج وسط، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ١٩٨٤م.

ثانياً: مراجع عامة:

- برنامج "عن توبة عدد من الغلاة" في القناة الأولى بالتلفزيون السعودي في

٢٣/١١/١٤٢٤ هـ.

- برنامج "عن توبة عدد من الغلاة" في القناة الأولى بالتلفزيون السعودي في ٧/٨/١٤٢٥ هـ.
- د. إبراهيم بن حسن الخضير: الفقر والأمراض النفسية، جريدة الرياض، عدد ٩ ربيع الاول ١٤٢٧ هـ الموافق ٧/٤/٢٠٠٦ م.
- د. إبراهيم بن حسن الخضير: من يحمل أفكاراً ضلالية يلجأ إلى العنف لإقناع الآخرين بما يؤمن به، جريدة الرياض عدد ٨ صفر ١٤٢٦ هـ الموافق ٨/٣/٢٠٠٥ م.
- د. توفيق بن عبدالعزيز السديري: الأمن الفكري والغلو، جريدة الجزيرة، ٢٥ جمادى الاولى ١٤٣ هـ الموافق ٢٠/٥/٢٠٠٩ م، الرياض.
- د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل: التكفير من أعظم البلايا التي جرّت على الأمة الويلات والفتن، جريدة الرياض، ٢٥ شوال ١٤٢٤ هـ الموافق ١٩/١٢/٢٠٠٣ م.
- د. محمد بن إبراهيم الزهراني: خطاب دعاة الغلو الاعتقادي في المجتمع السعودي - مرتكزاته واساليبه وكيفية مواجهته، دراسة تحليلية (د.ن، د.ت).
- د. محمد بن عبد الله العميري: موقف الإسلام من الارهاب، الرياض جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٠٠٤ م.
- د. ناجح بن إبراهيم عبد الله، الشيخ على بن محمد بن علي الشريف: حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين، الرياض مكتبة العبيكان ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م.
- د. نبيل رمزي: علم اجتماع المعرفة - ج٣، ايدلوجية الاكراه الديني والارهاب السياسي، الاسكندرية، دار الفكر الجامعي، ١٩٩٢ م.
- عبد الله السعد: امن الوطن = مقاومة الفكر التكفيري، الرياض، ١٤٢٦ هـ.
- وزارة التربية والتعليم: الأمن الفكري، الرياض ١٤٢٦ هـ.
- وزارة التربية والتعليم: - دور التربويين في حماية فكر الناشئة، الرياض ١٤٢٧ هـ.



- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: بيان مجلس هيئة كبار العلماء حول التكفير والتفجير، الرياض.

ثالثاً: المصادر اللغوية:

- ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ج ٦، بيروت، دار الكتب العلمية.
- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، ج ٢، القاهرة، هيئة المطابع الاميرية.